بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إعلان تشولبون-آتا: مَن يبني هندسة النفوذ في آسيا الوسطى؟

الخبر:

في 31 تموز/يوليو 2026، عُقد اجتماع تشاوري في مدينة تشولبون-آتا بمشاركة دول آسيا الوسطى الخمس وأذربيجان، حيث تَمَّ اعتماد إعلان ينص على التعاون في مجالات النقل، والطاقة، والتجارة، والسياحة، والأمن.

وقد حُدِّدَت في الإعلان مشاريع استراتيجية مثل سكة حديد الصين - قرغيزستان - أوزبيكستان، ومحطة كامبار-آتا1 الكهرومائية، وتأشيرة سياحية موحدة. غير أن أهمية هذه الوثيقة لا تقتصر على التعاون الإقليمي فحسب، بل تحمل أيضاً أبعاداً جيوسياسية بالغة الأهمية.

التعليق:

جاء اعتماد إعلان تشولبون-آتا في وقت يتصاعد فيه التنافس بين روسيا والصين وأمريكا في أوراسيا. ورغم أن أمريكا ما زالت القوة العالمية الأشد نفوذاً، فإن الصعود الاقتصادي والتكنولوجي للصين، والقدرات العسكرية والنووية لروسيا، وسعي أوروبا لحماية مصالحها، يُلقي أمامها بمهام استراتيجية جديدة.

ولذا، تُعدّ آسيا الوسطى بالنسبة لأمريكا منطقة استراتيجية تقع بين روسيا والصين، وتتيح الوصول إلى القوقاز وأوروبا عبر بحر قزوين.

تستهلك روسيا موارد هائلة بسبب الحرب في أوكرانيا، لكن نفوذها في المنطقة ما زال قائماً. ومع ذلك، فإن ضعفها النسبي يوفر فرصة لأمريكا، في حين قد تملأ الصين هذا الفراغ. وتتغلغل الصين في المنطقة عبر السكك الحديدية والاستثمارات والقروض، ومشاريع الطاقة والتجارة والصناعة، بدل الأحلاف العسكرية. وتُشكل سكة حديد الصين - قرغيزستان - أوزبكستان جزءاً مهماً من هذه العملية.

أما الغرب فيسعى إلى تعزيز ممرات بحر قزوين والقوقاز التي تتجاوز روسيا. وهنا تبرز أهمية الآليتين الأمريكيتين: مجموعة دول آسيا الوسطى الخمس وأمريكا "C5+1" ومسار ترامب للسلام والازدهار الدوليين TRIPP؛ حيث تُعتبر C5+1 قناة للحوار السياسي، بينما تُعد TRIPP أداة لتعزيز الترابط الاقتصادي والجيوسياسي ووسائل النقل. ومن شأن التناغم بينهما أن يخلق بيئة اقتصادية ونقلية جديدة في آسيا الوسطى غير مرتبطة بروسيا ولا تخضع لسيطرة الصين الكاملة.

وجدير بالذكر أن آلية TRIPP ليست مجرد "آلية نقل أمريكية لآسيا الوسطى"، بل هي جزء من نهج اقتصادي واستثماري أوسع للولايات المتحدة يهدف إلى تطوير خطوط النقل والطاقة والمواد الخام الاستراتيجية في جنوب القوقاز وآسيا الوسطى. كما يهدف صندوق TRIPP+ الذي تأسس عام 2026 إلى تشجيع الاستثمارات في قطاعات النقل والطاقة والمعادن الاستراتيجية.

وفي هذا السياق، تكتسب مشاركة أذربيجان في تشولبون-آتا أهمية خاصة؛ إذ تمثل حلقة وصل استراتيجية تربط آسيا الوسطى عبر بحر قزوين بالقوقاز وتركيا وأوروبا، ما يجعل مسار آسيا الوسطى - بحر قزوين - أذربيجان - تركيا - أوروبا، بديلاً للممرات الشمالية التي تمر عبر روسيا.

وبناءً عليه، فإن أهمية الإعلان تتجاوز نطاق التعاون الإقليمي؛ فهو يظهر تشكّل روابط نقل واقتصاد جديدة في ظل تراجع النفوذ الروسي النسبي وتزايد النفوذ الصيني. ولكن لا يمكن اعتبار هذا بعدُ نصراً لأمريكا؛ فهي قد لا تكون المصمم المباشر للإعلان، لكنها تملك الفرصة لربط العمليات الجارية داخله باستراتيجيتها الخاصة بأوراسيا.

فضلاً عن ذلك، فإن السياسة متعددة الأبعاد لأنظمة آسيا الوسطى لا تعني استقلالاً حقيقياً. إذ يصعب تسمية مناورات هذه الأنظمة - المعتمدة على قوى مختلفة في مجالات الأمن والاقتصاد والاستثمار الأسواق الخارجية - استراتيجية جيوسياسية مستقلة.

لذلك، فإن السؤال الأساسي ليس هل ستختار آسيا الوسطى الولايات المتحدة أم الصين؟ بل مَن الذي سيحدد هندسة النقل والاقتصاد والأمن في المنطقة؟

ومن المنظور الإسلامي، فإن تقسيم بلاد المسلمين إلى مناطق نفوذ لأمريكا أو روسيا أو الصين ليس حلاً. إن المشكلة تكمن في التشتت السياسي للمسلمين وربط مصيرهم برهان الصراعات بين القوى الخارجية. يقول الله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾.

ولهذا، فإن الحل لا يكمن في استبدال النفوذ الأمريكي بالروسي، ولا النفوذ الصيني بالأمريكي؛ بل بإرادة سياسية واحدة تحرر بلاد المسلمين من نفوذ القوى الخارجية. ومن هذا المنطلق، يُنظر إلى الخلافة الراشدة كحل سياسي يحوّل المسلمين من كونهم موضوعاً للتنافس في أوراسيا إلى قوة جيوسياسية مستقلة. وحينئذٍ لن تُفتح الطرق نحو أوروبا فحسب، بل ستمتد إلى مغارب الأرض.

وبناءً عليه، فإن الامتحان الحقيقي لإعلان تشولبون-آتا لن يكون في يوم اعتماده، بل سينعكس في الاستثمارات القادمة، وممرات النقل، وسلاسل إمداد المواد الخام الاستراتيجية، والارتباطات الخارجية. إن اللعبة الجيوسياسية في تشولبون-آتا لم تنتهِ بعد، بل هي قد بدأت للتو.

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

إسلام أبو خليل – أوزبيكستان